Nady Al-Adab: Jurnal Bahasa Arab

Volume 18 Issue 2 November 2021
ISSN Print: 1693-8135 | ISSN Online: 2686-4231
Penerbit: **Departemen Sastra Asia Barat, Fakultas Ilmu Budaya, Universitas Hasanuddin**
Nationally Accredited Journal, Decree No. 200/M/KPT/2020
This Work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

أخلاقية الأدب وأهميتها: القَصص القرآني العربي نموذجا

Ya'qub al–Haj Abdullah[1]
Jami Saadullah Abdul Karim[2]

[1] University of Ilorin, Nigeria. e-mail: khalilulahgbodofu@gmail.com
[2] University of Ilorin, Nigeria. e-mail: abdulkareem.js@unilorin.edu.ng

الملخص

يعتبر الأدب مجموع الشعر والنثر الذي يعكس عادات قوم وتقاليدهم في نواحي حياتهم الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية. ولا شك أن الأدب الإسلامي يؤثر اتباع مذهب الفن للحياة والأدب للمجتمع لينتفع دارسو الأدب المنتج وينفعوا غيرهم بفضائل الفن الجميل وأخلاقية مضامين أجناسه. ومن تلك الأجناس الأدبية فن القصة العربية الذي استخدمه الإسلام في ضبط أحوال السابقين، وذلك لدوره الفعَّال في تعليم الأخلاقية وتصقيل عقول دارسيها وتحسين طرق معيشتهم بها. ولتوضيح تلك الحقائق، عرض البحث نماذج من قِصص القرآن لدعم أهمية الأخلاقية واهتمام الإسلام بها. وانتهجت المقالة منهجين هما التاريخي والوصفي. وكان استخدام المنهج التاريخي عند بيان نشأة وتطور الأدب الإسلامي عبر العصور الأدبية العربية، كما تمَّ توظيف المنهج الوصفي لتحليل أخلاقية النماذج القصصية القرآنية المختارة. ومن نتائج الدراسة الإقرار بأن القرآن هو المثل الأعلى في سرد القِصص وتحليلها وتعليلها، بميزته أنه يهدي للسبيل التي هي أقوم في مجالات الحياة. وتوصي المقالة بالتمسك بالآداب الإسلامية لمنافعها المسعِدة.

الكلمات المفتاحية: *الأخلاقية؛ الأدب؛ القصة؛ الإسلام؛ القرآن؛ العربية.*

Abstract:

Literature refers to the poetry, prose and drama works which present people's cultural heritage by studying their religious, cultural, economic and socio-political life. It is clear that Islamic literature is a literary school of thought whose motto is "Art for Life Guide, Literature for Social Development" and its artistic means of communication is aimed at guiding people on humanism and materialism for their own benefits and societal development. In another vein, Qur'anic story-telling in Arabic has a significant role in counseling people for ethics and leading them to a bountiful living, therefore this phenomenon led the authors to research into literature morality and its Islamic importance with case study of stories from Qur'anic verses. The methodology employed was both historical and descriptive. The historical method was used in discussing the history of Islamic literature throughout the Arabic literary periods, while descriptive method was adopted in analyzing the Qur'anic stories sampled on morality. It was affirmed that the Qur'an, as a divine revelation, is considered as the best exemplary in

story-telling, analysis and guidance for better living. It is therefore recommended that Islamic ethics should be upheld for humanity development.

***Keywords**: Morality; Literature; Islam; Story; Qur'an; Arabic.*

1. مقدمة

من المسلَّم به أن الفن القَصصي من أصدق الفنون النثرية في جميع الآداب العالمية، وإن كان الاعتناء بضبطها يختلف من لغة إلى أخرى، تبعا للحوادث الدينية والسياسية والاجتماعية. وفي الأدب العربي تأخر ضبط الفن القصصي، وإن كانت هناك نماذج تدلُّ على قدم وجوده، لا سيما في العصر الجاهلي حيث توجد أسمار وقِصص قصيرة وأساطير.

وقضية الاعتناء بضبط القصة هذه تختلف من لغة إلى أخرى، فهي التي اقتضت اختلاف المذاهب الأدبية ومفاهيمها وشتى اتجاهاتها، وعلى الوجه الأخصِّ، المذهب الإسلامي الذي يعتني بأخلاقية الأدب، علمًا بأن الأدب الإسلامي مجموع الشعر والنثر الهادفين في دراسة الكون والحياة والإنسان، تبعا للتعاليم الإسلامية. ولتحقيق تلك الأهداف، ستتناول الدراسة المحاور التالية: القصة العربية وتطورها، وأخلاقية الأدب، وأهمية الفن القَصصي في الأدب الإسلامي، ونماذج من أخلاقية الأدب في القَصص القرآني العربي.

2. نتائج الدراسة

2.1. القصة العربية وتطورها

تعتبر القصة رواية سلسلة حوادث بموضوع معين ومغزى مبين أو غير مبين، على أيدي الشخصيات والروابط المناسبة والزمان والمكان بأسلوب جذاب رفيع (عبد الدايم، 1974: 15)، ولا شك أن بواكيرها هي قصص الجاهلية التي كانت أسماراً تدور حول حياتهم الاجتماعية، وكذلك الأسمار القصيرة التي يشبّه فيها الكتَّابُ أنفسَهم ببعض الحيوانات في العصر العباسي (عبد الدايم، 1974: 13-14).

ولا يخفى أن الخطاب العربي في فن القصة قليل لأسباب، منها خيشتهم من توغل الوثنية في آدابهم، فاقتبسوا بواكيرها من أدب الغرب الإفرنجي بقواعدها ومناهجها وموضوعاتها، وكان أولَهم إلى الميدان هم اللبنانيون من أثر مخالطتهم بالأوربيين والأخذ منهم أمثال فرانسيس مراش الحلبي، وسليم البستاني، وجرجى زيدان، ثم عالجوها فكتبوا منها قِصصا وأقاصيص مترجمة شبيهة بالاقتباس والحذف والزيادة والتغيير ك "غصن البان" لنجيب الحداد، و"الفضيلة" للمنفلوطي، و"البؤساء" لحافظ إبراهيم، وغيرها من القِصص المترجمة بالدقة، وسار على منوالهم الدكتور أحمد زكي في كتابه "مارغريت"، والمازني في كتابه "ابن الطبيعة"، والزيات في كتابه "آلام فارتر ورفائيل" (حسين، 2000: 4).

وعلى علاتها ظهرت القِصص الحديثة على أيدي الشباب بمختلف الأنواع من أساليب البلاغة، فلم يدخل في برامجها الأدبية تعليم الفن القَصصي والروائي على الطريقة المرسومة في المدرسة الأوروبية. ومن بعد ذلك شرعت القصة تستقل بموضوعاتها وتتميز بطابعها ومنها: "زينب" لمحمد حسين هيكل، و"سجن العمر وزهرة العمر" لتوفيق الحكيم، و"بداية ونهاية، وحياة طبيب" لنجيب محفوظ، و"قال الراوي" لإلياس فرحات (إسماعيل، د.ت: 172).

وكان المويلحي في أوائل القرن العشرين صاحب القصة الطويلة "حديث عيسى بن هشام" بأسلوب المقامات وشيء قليل من البديعيات واسترسال التعبير... فلم تظهر القصة والأقصوصة بأصولهما الفنية كاملة إلا بعد أن تطورت من فن المقامات

إلى معالجة القومية والوطنية والإنسانية (عباس، 1855: 94-95). وذلك بكتاب "فجر القصة المصرية" للأستاذ يحيى حقني، ورائدها في العراق هو محمود أحمد السيد، ثم أمثال توفيق الحكيم ومحمود تيمور صاحب كتاب "ما تراه العيون" (الباردي، 2005: 54).

2.2. أخلاقية الأدب

اختلفت مفاهيم الأدب العربي ومضامينه عامة، وتطورت تلك المعاني بتطور الأمة العربية واختلاف بيئاتها الزمنية والمكانية والاجتماعية. وعلى الرغم من ذلك التطور، فإن المفهوم العام للأدب دلَّ على التهذيب والنظام اللذين يحسبان من مكونات الجانب الأخلاقي، ولكن الذين كتبوا تاريخ الأدب العربي لم يتفكروا في ذلك، فأصبح الأدب بعيداً عن المعنى العام (حسين، 2008: 3-4). ولذلك نجد آثاراً شعرية ونثرية تفسِّر الأدب بالمأدبة للاستضافة في العصر الجاهلي، وإن كان المعنى بطبعه يوحي إلينا المعنى العام في التهذيب والنظام في خلق الدعوة إلى الوليمة واجتماع الناس لها. ثم تطور اللفظ إلى معنى الظرف وحسن تناول القول في العصر الإسلامي حيث ازداد بالمعرفة والرياضة الفعلية، كما هو ظاهر قول الرسول ﷺ فيما رواه ابن مسعود عنه "إن هذا القرآن مأدبة الله في الأرض فتعلموا من مأدبته".... فقصد العرب بذلك في أدبهم كل ما يستجدُّ من شعر ونثر تُقبِل عليهما النفوس وتستحسنهما الأذواق (الندوي، 1982: 14).

ومنذ ذلك العهد، أصبح الأدب تهذيباً للعقول، وتنظيماً لأسلوب الكلام الذي يروَّض لإصلاح الحياة والكون والإنسانية والوطنية؛ فأمكن الأدبَ اعتلاقُه بالأخلاقية فيما يعرضه، استناداً إلى رأي المؤثرين لمذهب "الأدب للمجتمع" لا "الفن للفن".ونفهم أخلاقية الأدب من مقاصد الأدب الإسلامي، انطلاقاً من عصر صدر الإسلام الذي أعاد ذلك المعنى التهذيبي إلى الأدب بعد أن كان شبهَ مغفول في العصر الجاهلي، فحبَّذ الإسلام صلاح الشعر والنثر، حتى وجدنا الفنون الشعرية والنثرية خاضعة للأخلاقية الإسلامية طَوال عصر صدر الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين. هذا، ومن مقاصد الأدب الإسلامي، تصحيح مسار الأدب فيما يخالطه من انحرافات وتزويرات في مصادره الإبداعية من قصة ورواية ومسرحية وشعر... لمحاولة ربط تلك الأجناس الأدبية بالعقيدة. وكذلك تصميم المناهج الأدبية الإسلامية التربوية حتى لا يزال أدبُها أدبَ القِيَم والسلوك والأخلاق والتربية والتعليم، وحتى ينشِّئ ذلك الأدب أمة إسلامية مستقيمة. ومنها تحقيق غاية الالتزام في إنتاج الأديب المسلم الذي يدين لله تعالى بأقواله وأفعاله راجيا أجرَ الآخرة وثوابها. وكذلك تحقيق الانسجام بين العقيدة والحس الأدبي حتى ينتهي الأدب إلى الفن والأخلاقية في حماية القِيَم الإسلامية (حسين، 2008: 63-64).

لا يعني كل ما ذكرنا أن الأخلاقيات لم تكن من مناهج الأدباء غير المسلمين، وإن اختلفت المصادر والمقاصد، إذ رأينا الكاتب الفرنسي جويو قائلا: "إن الروح الأخلاقية عند الفنان كعبقريته، يجب أن ينسحبا معا، وفي وقت واحد من أعماق طبيعته، وإن الفن غير الأخلاقي هو على كل حالٍ أحطُّ مرتبةً حتى من وجهة النظر الفنية الخالصة" (الحكيم، د.ت، ص: 75). ويرى جـ. هز ميلر في بحث له أنه لا مجالَ للالتزام في الأدب أهمُّ من مجال الدين والأخلاق (Gann, 1971:3). صحيح أنه يوجد من النقاد من لا يرون أخلاقية الأدب، وإنما يقيّمون العمل الأدبي على أساس إجادة الصياغة وحسن التصوير- بمعنى الفن للفن- لكن مع ذلك ندرك أن هذا الرأي يمثِّل موقفهم التنظيري فقط. أما عند التطبيق العملي حين يقفون عند النصوص التي

تتعارض مع القِيَم الأخلاقية والدينية أو تتجر بالفحش والمنكرات فنجدهم لا يملكون الثبات على هذا الرأي، ولا يولُّون ظهورهم عن التجاوزات العقدية والأخلاقية، بل يَعدُّونها من سقطات الأديب ومن العيوب التي لا يجوز ارتكابها؛ فهذا القاضي الجرجاني ممن يعرفه النقد الأدبي على الاعتماد على الأحكام الجمالية في تقييم العمل الأدبي، فهو يعيب المتنبي في هجائه حيث يقول: "أما القذف والإفحاش فسباب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم" (الجرجاني، د.ت: 24).

وعودة إلى إقرار الحجة أن القرآن هو الذي أعاد الأخلاقية إلى الأدب بصورتها العامة، فإن القصة لم تقلَّ عناية القرآن بها في التهذيب فعرض شتى القِصص للأغراض الدينية، مع موافاة سمات التعبير والتصوير التي تؤلِّف بين الغرضين الديني والفني فيما يعرضه من الصور والمشاهد. وسنعرض بعض النقاط الدالة على أخلاقية الفن القَصصي في القرآن من ثنايا النماذج القصصية التي عرضها للتعليم والتهذيب، إذ القصص القرآنية تتسع مجالاتها إلى إثبات الوحي والرسالة المحمدية، وكذلك إثبات كلية دين الله من عهد نوح إلى عهد مُحَمَّد، كما نجد فيها إثبات نصر الله لأنبيائه ورسله، وأن الدين عندهم موحَّد الأساس، وكذلك تعليم كيفية الحذر من غواية الشيطان وزخارف الدنيا، ومنها إثبات قدرة الله على الخوارق، وبيان عاقبة الخير والشر، والتبشير والإنذار وغيرها.

2.3. أهمية الفن القَصصي في الأدب الإسلامي

إنه بعد التعرف على أنواع القصة من حيث أدب الرحلة والسيرة الذاتية أو الغيرية والرواية وغيرها، فإن للقصة أهمية كبيرة في حياة الإنسان بعد معرفة تعلقها بطبيعته. ومن نقاط تلك الأهمية أنها تقوم بصقل الشخصية الإنسانية توجيهاً إلى وجوه الخير وترغيباً عن الرذائل، حتى تنتهي تلك الخاصية إلى الانضباط السلوكي. وكم آياتٍ تُتلَى في القرآن حول القرون الأولى صالحها وطالحها على أيدي أمم الأنبياء كما سيبدو في المحور التالي المعنْوَن بنماذج من أخلاقية الأدب في الفن القَصصي القرآني العربي.
ومن تلك النقاط البناء الاجتماعي في تنمية القدرات العقلية والنفسية والانفعالية واللغوية والتربوية. وفي جانب التربية مثلا، أبغض الله الشذوذ الجنسي فأورد قصته لقوم لوط على لسان نبيهم الذي قال الله تعالى في سورة الحجر: 68-69 (إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون، واتقوا الله ولا تخزون).

وكذلك يكرِّه حبَّ السيطرة واستضعاف الآخرين كما هو شأن فرعون في سورة القَصص فالآية 4 لقوله تعالى: (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شِيَعاً يستضعف طائفة منهم، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، إنه كان من المفسدين). وكذلك يُضادُّ حبَّ المال لذاته إذا لم يكن لله بإنفاقه في سبيله، فهو ما أدَّى قارون إلى البغي كما قال المولى العزيز قال في سورة القصص: 76 (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، وآتيناه من الكنوز ما إنَّ مفاتحة لتنوء بالعصبة أولي القوة، إذ قال له قومه لا تفرح، إن الله لا يحب الفرحين). ومن أهمية القصة فائدة التعليم، وهو تعليم أسلوب الحياة وثواب الآخرة. ولعل ذلك هو ما يُقِرُّه المولى في قصة يوسف وإخوته فقال جل من قائل في سورة يوسف: 111 (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب، ما كان حديثاً يُفتَرى، ولكن تصديق الذي بين يديه، وهدى ورحمة لقوم يومنون).

ومن تلك الفوائد ظاهرة التسلية، وتتمثل في إيراد قِصص الأولين من الذين سلَّك الله لهم طريق النجاء بعد ما أصابهم من فتنة الحياة، فبدَّلهم السيئات حسنات. ومثالٌ طريفٌ لتلك القضية، هو تسلية المولى للمؤمنين الذين أصابتهم شتى القروح في القتال، فلا يزال الخالق يصبِّرهم على البلاء ويأمرهم أن يصابروا أنفسهم ويحتسبوه، راجين في أجر الآخرة ومفازة الحياة الدنيا، ومن

نماذج الظاهرة قوله تعالى في سورة آل عمران: 139-140 (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مسَّ القومَ قرحٌ مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين ءامنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين). وكذلك قوله في ثبات الأجر لمن صبر على المصيبة في سورة آل عمران: 171-172 (يستبشرون بنعمةٍ من الله وفضلٍ وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم). ومثال ذلك الأمر قوله في سورة النساء: 104 (ولا تهنوا في ابتغاء القوم، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما).

2.4. نماذج من أخلاقية الأدب في القصص القرآني العربي

ولا يخفى علينا أن من مقاصد القرآن الترغيبَ في فضائل الأخلاق والتنقير عن رذائلها، فقد ذكر القرآن وأورد قِصصاً عن أصحاب الإيمان والغواية لتكون عبرة وموعظة للناس جميعا. ومثلا في سورة البقرة فالآية 36، أورد قصة آدم الذي عصى ربَّه حين اغترَّ بغواية الشيطان، لكنه تاب فيما بعد، فذكر عقوبته لآدم وتوبته عليه في قوله في سورة البقرة: 36-37 (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم). ومن قبل ذلك قد ذكر استكبار الشيطان الذي يعدُّ من رذائل الأخلاق فغضب الله عليه بقوله في سورة البقرة: 34 (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين).

ومن مصافِّ الأخلاق السيئة، أخلاق المنافقين كالخداع والكذب والاستهزاء، فقصَّ الله علينا قِصصهم في القرآن مع ذكر عاقبتهم فقال تعالى في سورة البقرة: 16 (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين). وذكر في السورة نفسها عدوان بني إسرائيل وظلمهم بقتل الأنبياء والكفر بآيات الله فقال في سورة البقرة: 61 (.....ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون). ويُضاف إلى كل ذلك قِصصُ أصحاب السبت، وقضية ذبح البقرة، ونفاق القول عندهم.

ومن صنوان تلك الأخلاق الشنيعة، ما حدث من الحسد بين قابيل وبين أخيه هابيل، فقال جل من قائل في سورة المائدة: 30 (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين). وكذلك التقليد العموي الذي ذمه المولى من بعض الكفار المعاندين بقوله تعالى في سورة المائدة: 104 (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون). وأورد القرآن الكريم قصص الأمم السابقة كعاد المغترّين ببسطة أجسامهم، وثمود العصاة بعقر الناقة، وقوم لوط الآتين بفاحشة شهوة الرجال، ومديَن ذوي بخس الكيل والميزان، وبني إسرائيل الماكرين العاصين لأوامر موسى، وفرعون وهامان المستضعِفَين لقوم موسى، كلها في سورة الأعراف. وفي زاويتهم قوم نوح الذين طغوا واستكبروا واستهزءوا بتابعي نبيّهم كما يبدو في سورة هود.

وأقرَّ المولى العظيم قصة يوسف الذي عفا عن إخوته القائمين بمحاولة إعدامه، ومن القصة دعوته لصاحبيه في في السجن، وكذلك الاعتراف الجميل من زليخا امرأة العزيز وغير ذلك كما يتبلور في سورة يوسف. ولا بد من نبذ خلق العجَل الذي بوَّأ موسى مبوَّأ المستعجل أمام معلِّمه ومرشده خضر كما نجده في سورة الكهف. ومثاله سليمان الذي كان يغضب على

الهدهد قبل أن يأتيه بنبإ يقين في سورة النمل. ولا يرضى الله بحديث الإفك اعتباراً بمعصيةٍ عصبةٍ من المؤمنين ضدَّ عائشة فقال في سورة النور: 12 (لولا إذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا، وقالوا هذا إفك مبين). ومن الأخلاق الطيبة المطالب بها كل مسلم صادق في إيمانه، الصبر على البلاء كما ذكر الله قصة من قد ابتُلوا وخَلوا من قبل مؤمني صدر الإسلام حيث قال في سورة البقرة: 214 (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب). وكأن الآية تمثيل لآية أخرى مجملة في قوله في سورة العنكبوت: 3: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم، وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين).

ومن المهام الكبرى أهمية الاعتناء بالعقيدة الصحيحة، فهي التي أدَّت بأصحاب الكهف إلى نومهم لمدة تسع وثلاثمائة سنين. ومنها أهمية الإنفاق في سبيل الله حتى لا يعنيَ شحُّ الإنسان وبخلُه ادِّعاءَ طاقته في جمع الثروة لا من حول الله وقوته، كما هو قضية صاحبَي جنتين اللذين فاز أحدهما المنفق في سبيل الله، وخاب الآخر المانع. وكذلك منع الظالم عن ظلمه بالأخذ فوق يديه كما فعل ذو القرنين ليأجوج ومأجوج. ولا يُفقَد في سورة مريم صدقُ الوعد في إسماعيل وإدريس كقوله تعالى في سورة مريم: 54 و 56 (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد... واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيًّا). وتحمل قصةُ لقمان أخلاقيةَ التربية الإسلامية من قوة الإيمان، وبر الوالدين، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وترك تصعير الخدين في مفاخرة الناس، واجتناب مشي المرح، وغض الصوت؛ نتعرَّف على كل ذلك في سورة لقمان: 12-19.

وشملت سورة الحشر قصة المهاجرين والأنصار من تقاسم الحب والإيثار، ونبد البغض، وحسن الإنفاق، والاستغفار للإخوان السابقين بالإيمان، وكره الغلِّ، واجتناب النفاق، ومحاذرة الشيطان وعدم الاغترار به، ودروس ذلك كله بين الآية 8-17. ومثالها سورة المنافقون التي تحتوي على أخلاقهم من الكذب وسوء العمل، وإظهار صالح العمل مع إخفاء طالحه، والصد عن سبيل الله، وتكريه الإحسان إلى غيرهم. وفي سورة التحريم قصة المكيدة والضريرة بين نساء النبي، وقصتا امرأتَي نوح ولوط اللتين تمثِّلان النسوة الطالحات الساعيات لإخفاق بعولهن في العمل الصالح، وهما خلاف مريم وامرأة فرعون اللتين تمثِّلان كذلك النساء الصالحات اللائي يحافظن على عقيدتهن وإحصانهن، فقد جازى الله كل واحدة منهن ما تستحقه من الجزاء، وما الله يريد ظلما للعباد.

وبئست أخلاق الهمز والنميمة ومنع الخير والاعتداء والإثم من الشِّيَم التي اتصف بها الوليد بن المغيرة، والقصة في سورة القلم. وفيها قصة أصحاب الجنة الثلاثة، الذين ظلموا أنفسهم أخيرا فحُرِّموا الحصاد من أثر قصدهم أنهم لا يؤتون زكاة حصادهم. ويمثِّل قَصَص القرآن الكريم نموذجاً راقياً لمعالجة العلاقة بين الجنسين، تبدو فيها القِيَم الخُلُقية النبيلة والحفاظ على كرامة الإنسان والسمو به وإرساء قواعد الخير والفضيلة فيه، بعيداً عن نماذج من القِصص الغربية أو غير الإسلامية التي تعتني بالجوانب السلبية في تصوير العلاقة بين الجنسين، بإظهار المفاتن وترويجها وإثارة غرائز القراء وتحريضهم على التهالك عليها والاستمتاع بها بلا رادع. فتتميز قِصص القرآن الكريم في معالجة العلاقة بين الحنسين بعرضها في صورة موجزة، من دون الوقوف الطويل في تناول جزئياتها وبدون التفنن في عرضها لإثارة تلذذ القارئ أو السامع بمشاعر الجنس المنحرفة.

وإن تُعرَضِ الجوانبُ المنحرفة في العلاقة بين الجنسين فللإشارة إلى لحظة من لحظات ضعف الإنسان وهبوطه، ثم يُفيقه القَصص القرآني من ضعفه وهبوطه إلى الصواب والفطرة السليمة والإنابة إلى الله، فقصة النبي يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز

تمثِّل نموذجا حيا للعلاقة بين الجنسين، حيث قال تعالى في سورة يوسف:23-25 (وراودتْه التي هو في بيتها عن نفسه وغلَّقت الأبواب وقالت هيت لك، قال معاذ الله، إنه ربي أحسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون، ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، إنه من عبادنا المخلصين، واستبقا الباب وقدَّ قميصه من دبر، وألفيا سيدها لدى الباب، قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم). وبعد مدة من الزمن، تبينت عفة يوسف وبراءته – عليه الصلاة والسلام– من الجريمة التي افتراها عليه امرأة العزيز نفسها، قال تعالى في سورة يوسف: 51 (قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه، قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء، قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق، أنا راودته عن نفسه، وإنه لمن الصادقين).

وقصة النبي موسى عليه السلام مع بنات النبي شعيب نموذجٌ آخر يتجلى فيه الحياء والحشمة والنظافة في العلاقة بين الجنسين، قال تعالى في سورة القَصص: 25-26 (فجاءت إحداهما تمشي على استحياء، قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فلما جاءه وقص عليه القصص، قال لا تخف، نجوت من القوم الظالمين، قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين). أُعجبت إحدى بنات النبي شعيب بالنبي موسى لِما لاحظت وشاهدت فيه من الرجولة والأمانة، فجاءت تقدِّمها إلى والدها يغشاها جو من حياء وحشمة ويغمرها حب نقي ورغبة خفية. أما النبي موسى فيُظهر شخصيةً متوازنةً ومثَلاً أعلى للإنسانية في ظلال العفة والوقار، متسماً بالرجولة والأمانة، تلك الأمانة التي جعلتْه ينصرف إلى الظل بعد أن سقى لهما، والتي اضطرته إلى الامتناع عن المشي من وراء الفتاتين حذراً للفتنة والريبة؛ فتلك هي القِيَم الخُلُقية التي يجب أن يلتزم بها كل قصة نظيفة، وخاصةً قصة الجنسين

3. الخاتمة

استطاع الباحثان تسليط أضواء على تاريخ القصة العربية في نشأتها وتطورها واحتكاكها واسقلالها، ثمَّ أهميتها في صقل الشخصية الإنسانية، والبناء الاجتماعي، والتعليم والتسلية والترفيه. ومن بعد ذلك أخلاقية الأدب التي تعتبر موضوعا أساسيا في الأدب الإسلامي، مع استنباط تلك الأخلاقية من الفن القَصصي العربي الإسلامي في القرآن الكريم.

ومن نتائج الورقة أن الفن القَصصي القرآني غايته التأثير الإيجابي في الناس، إذ يستحيل وجود قصةٍ قرآنيةٍ إلا وتهدف إلى الإصلاح الفردي والجماعي والبيئي والديني والعقلي تحت راية الأخلاقية، وقد أثبت البحث تلك الحقيقة بالنماذج السالف بيانها في المحاور السابقة. وتوصي الدراسة أدباء القصة –ولا سيما المتخصصين في العربية– أن يولُّوا وجوههم قِبَل التأثير الإيجابي في القراء، فلا يُوجِدوا مشاكل أخرى هي أشنع وأسوأ من نوع المشكلة التي قصدوا معالجتها كما نلمس في كثير من القِصص غير الإسلامية.

المراجع

إسماعيل، عز الدين. (د.ت). *الأدب وفنونه*. القاهرة: دار الفكر العربي.

البارديي، مُحَمَّد. 2005. *عندما نتكلم عن الذات- السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث*، ط2. دمشق: متشورات كتَّاب العرب.

الجرجاني، القاضي علي عبد العزيز. (د.ت). *الوساطة بين المتنبي وخصومه*. بيروت: المكتبة العصرية.

الحكيم، توفيق (د.ت). *فن الأدب*. القاهرة: مكتبة الأدب.

الندوي، مُحَمَّد الرابع الحسن. 1982. *الأدب العربي بين عرض ونقد*، ط3. مكان النشر غير مذكور.

حسين، زكريا. 2000. *المأدبة الأدبية لطلاب العربية في إفريقيا الغربية*، ط1. نيجيريا: دار النور-أوتشي.

حسين، نصر الدين إبراهيم أحمد. 2008م. *الأدب الإسلامي: دراسة نظرية وتطبيقية*، ط2. ماليزيا: مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية.

عباس، إحسان. 1855. *فن السيرة*، ط5. باريس-فرنسا.

عبد الدايم، يحي إبراهيم .1974. *الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

Gann, G. B. 1971. *Literature and Religion*. New York: Harper Forum Book.